

## نزیه خاطر . . .

## أستاذ في النقد ومؤرخٍ لمرحلة

■ **جورج كعدي**



منطقه اللغويّ وتركيب جملته العربيّة التي لولا رعاية شوقيّ أبي شقرا (وكاتب هذه السطور في مرحلةٍ لاحقةً بين 1998 و2005) والقلم الأحمر المشدّب والمعدل لما عبرت إلى القارئ بالنصّ العربيّ الفريد النّفس والعبارة، والخاصّ بنزیه خاطر الفرنسيّ المتهلّ والثقافة، إمّا البلديّ التفكير والانتماء، لكونه ابن المؤرخٍ لحد خاطر، أحد الأعلام في التراث الوطنيّ.

على مستوى العلاقة الشخصية، وإستناداً إلى معرفتي الوثيقة بالغايب العزيز، أقرّ بأنّ نزیه خاطر لم يكن شخصاً «سهلاً» بل لظالمًا المرأي أو عقب مناقشةٍ حاميةٍ في المقهى... كان صنفٌ في خاتة المشاكسين، المساجلين بحذّة، وبقدر ما كان له من أصدقاء كان له القدر نفسه من «الخصوم» على خلفةٍ العتب أو «الرّعل»، بسبب مقالٍ نقدّيٍ سلبيّ تناول لوحة أو عرضاً مسرحيّاً أو أداءً تمثيليّاً، أو لاختلافٍ شديدٍ في الرأي أو عقب مناقشةٍ حاميةٍ في المقهى... كان نزیه خاطر، للبعض، رجلاً «صعباً»، وللبعض الآخر الذي يشكّل غالبية قادريه وعرافي موقعه وموقفه، رجل معرفة أصيلة وحسّ نقدي رفيع، فانتداب الشخصية أمر مفصل عن الموضوع، النقدية المميّزة، حتى أنّ نزیه خاطر يُعتبر خير نموذج ومثال وقدوة للناقد الفنّي الحقيقيّ، من أولئك الذين يصحّ تلقين منهجهم في الجامعات.

تمنّ على شقيق نزیه خاطر، وهو ناشرٍ معروف، أن يحرض على جمع إنتاجه النقديّ المبعثر والمحفوظ في أرشيف «النهار» فحسب، وإصداره في مجلد كبير، جزءاً أو أحد أيّ عدة أجزاء، لحفظ هذا الإنتاج المبدع الذي يمكن اعتباره علامة مضيئةٍ في تاريخ النقد، وإنّنا الثقافي عامةً، فضلاً عن كونه يورّخ لمرحلة ثقافيّة كاملةٍ في المسرح والتشكيل ويمكن اعتماده مرجحاً للدرسين والباحثين.
وداعا نزیه خاطر، أفتقد بغيابك حيوية الجليس، العارف، الساخر، الذي تمنّع «عصاته» أكثر ممّا توجع أو تجرح.

## «جانن الهستيريا» قصص فلسطينية

## قطفت من عالم الجنون

صدرت لدى «مؤسسة شمس للنشر والإعلام»، في القاهرة، مجموعة قصصية عنوانها «جانن الهستيريا»، للأديب والإعلامي الفلسطيني المقدم في السويد سعيد الشبخ، في 92 صفحة قطعاً وسطاً، وتضمن 12 قصةً قصيرة. وسبق للشبخ أن أصدر «دماء على الظلال» (1985) و«كما تفكر صحراء» (1998) و«أقصى الحب... أقصى الموت» (2000).

ترصد «جانن الهستيريا» مشاهد مشحونةً بالألم والمعاناة في ظروف مختلفةٍ خارجةٍ على المألوف الاجتماعي، مرّة واقعيةٍ وتخيلية مرّة أخرى، بحيث لا يُستغنى خيط في هذه النبطية السردية وهي تستبطن، عالماً من الغرائبية مثيراً للاهتمام. والمؤلف الشيخ كاتب وشاعر فلسطيني وصحافي مستقل يكتب في عدة صحفٍ عربية ومواقع إلكترونية، وعمل في عدة مؤسسات إعلامية فلسطينية بين بيروت ودمشق وقبرص.

يشفي الكاتب في مجموعته الجديدة إلى حيث اللصائر اللمعتة عند نقطة الهستيريا، ويتوغل في أعماق المعاناة المرتبكة والحالات النفسية المضطربة اجتماعياً وإنسانياً وحقناً سياسياً، كاشفاً عمق أزمة الكائن الإنساني من قضايا عصره.

لا قصة عنوانها «جانن الهستيريا» بين قصص الكتاب، غير أن مجموع القصص عبارة عن باقةٍ تلمفت من عالم الجنون الذي يتكوّن إثر الصدمات المختلفة تبعها لاختلاف الأمكنة واختلاف الوظائف الاجتماعية، من صدمات الحرب إلى صدمات الحرمان للفقدان والاعتقال والمعنى، صدمات تحيل الإنسان على حالات من التمزق والتشوش الذهني فتتنازع المشاعر والأفكار التي تتفقد توازنها وتجلسه ينشر بنفسه غريباً وضعيفاً في لجة بحر عميق طالعه ومواقع الخرونية، وعمل في عدة مؤسسات إعلامية فلسطينية بين بيروت ودمشق وقبرص.

يشفي الكاتب في مجموعته الجديدة إلى حيث اللصائر اللمعتة عند نقطة الهستيريا، ويتوغل في أعماق المعاناة المرتبكة والحالات النفسية المضطربة اجتماعياً وإنسانياً وحقناً عصره. كاشفاً عمق أزمة الكائن الإنساني من قضايا عصره.
لا قصة عنوانها «جانن الهستيريا» بين قصص الكتاب، غير أن مجموع القصص عبارة عن باقةٍ تلمفت من عالم الجنون الذي يتكوّن إثر الصدمات المختلفة تبعها لاختلاف الأمكنة واختلاف الوظائف الاجتماعية، من صدمات الحرب إلى صدمات الحرمان للفقدان والاعتقال والمعنى، صدمات تحيل الإنسان على حالات من التمزق والتشوش الذهني فتتنازع المشاعر والأفكار التي تتفقد توازنها وتجلسه ينشر بنفسه غريباً وضعيفاً في لجة بحر عميق طالعه ومواقع الخرونية، وعمل في عدة مؤسسات إعلامية فلسطينية بين بيروت ودمشق وقبرص.

ترصد «جانن الهستيريا» مشاهد مشحونةً بالألم والمعاناة في ظروف مختلفةٍ خارجةٍ على المألوف الاجتماعي، مرّة واقعيةٍ وتخيلية مرّة أخرى، بحيث لا يُستغنى خيط في هذه النبطية السردية وهي تستبطن، عالماً من الغرائبية مثيراً للاهتمام. والمؤلف الشيخ كاتب وشاعر فلسطيني وصحافي مستقل يكتب في عدة صحفٍ عربية ومواقع إلكترونية، وعمل في عدة مؤسسات إعلامية فلسطينية بين بيروت ودمشق وقبرص.

يشفي الكاتب في مجموعته الجديدة إلى حيث اللصائر اللمعتة عند نقطة الهستيريا، ويتوغل في أعماق المعاناة المرتبكة والحالات النفسية المضطربة اجتماعياً وإنسانياً وحقناً سياسياً، كاشفاً عمق أزمة الكائن الإنساني من قضايا عصره.

## البناء

## سرويّات تاريخيّة

■ **لييب ناصيف\***

في أول شبابي، كنت أسمع بها. كانت قريبتها الخورية ماري ناصيف، عقيلة الأب إيليا بربراي، تحدّث عنها وتطري جمالها وبقافتها ونكاهما وحضورها الاجتماعي. ويحدّث عنها جبران صلاح المنذر، شقيق الرفيق حافظ الذي كان يقطن المصيطبة، وفي محبته الرفيق سليم بتلوني، خالي أندرّه جحا، وصوّري الرفيق ميشال صباغة.

كانت الأميّنة جمال ناصيف، مثل الرفيق حافظ المنذر، لصيقين في ذاكرتي قبل انتمائي الى الحزب، حتى إذا انتميت وربت أقرّاً أكثر، تعرّفت لي ما كانا عليه، وإلى ما تميّز به والده الأديب والشاعر والنائب إبراهيم المنذر.

في مطلع التسعينات، ووجدت وفاءً وتقديراً أنّ أكتب نبذةً تعريفيةً عن الأميّنة جمال ناصيف، قصّدت الأستاذ الجامعي، الدكتور جمال معلوف الذي زوّدتني مشكوراً بالكثير من المعلومات عن ابنة عمته التي ائتمنوا بها في شبوختها، بعدما كانت فقدت زوجها ورفيقها.

عن أول مديرة لمديرة السيدات، الأميّنة جمال ناصيف، هذا اللقيل.
\*\*\*

في النبذة عن دور المرأة القومية الاجتماعية، وقد عرضنا فيها عن أوائل الرفيقات اللواتي انتمين إلى الحزب، اورندا ما كان أفاد به الأمين جبران جريج على «أن الانتماء الرسمي للسيدات كان بدأ مع الرفيقة جمال ناصيف». ولا أستبعد أنّ يكون سعاده قد عنائها لانتماء الرفيقة جمال قصّة، رواها الأمين جريج في المجلد الأول لسلسلة «من الجعبة»، إذ يقول:

«تخرّجت جمال ناصيف من مدرسة الإنكليز للبنات في بيروت. كانت تحب الرياضة ولعبتها المفضّلة «التنس» التي كانت تمارسها في ملعب «السان جورج»<sup>(1)</sup> حيث كان يمارس اللعبة نفسها الرفيق أمين زهير (ابن احد مائكي مصرف كرياكوس زهير) إذ كانا يلتقيان هناك بين حين وآخر. في أحد هذه اللقاءات عرفها أمين إلى شاب كان اصطلمه معه للعب. هو أستاذ اللغة الألمانية في الجامعة الأميركية. اسمه أنطون سعاده.»

«جرّهما التعارف إلى التحدّث فتناولا شتى المبادئ وجالا في جهات جولات موقفة، افترقا وهي (جمال ناصيف) معجبة بهذا الشاب الذي تحدّث روح وطنية عامرة من هذا النوع في الوقت الذي يهاجر الشباب أوطانهم ساعين وراء الثروة والجاه». «رغبت جمال في المزيد من ثقافتها لجهة اللغة الفرنسية فقررت الالتحاق بإحدى مدارس الراهبات الفرنسية تمضي فيها سنتها الدراسية وهذا كان، لكنّها اصطلمت بروحية غريبة شعرت بخبرها منذ الوهلة الأولى. الراهبة التي تدّرس التاريخ والجغرافيا تتعدد إظهار شعبيتها كان لا تاريخ له. إنه شعب دليل، مهان، لا عزّة نفس له ولا كرامة ولا أمجاد كما للشعب الفرنسي النبليل، واضع أسس الحرية والأخاء والمساواة<sup>(1؟)</sup>»

«صارت جمال تحسّ بدافع داخلي يطارني بدعوها إلى مناقشة الراهبة الحساب فبدت على نطاق ضيق لا يتعادها ثم رجحت تهيب بزيملائها النقديي بها وهكذا أصبح لها مريدات ومحبّيات وقد تقافم «خطرها» إلى درجة أنّ رئيسة المدرسة نهبتها أولاً وثانياً، وأخيراً تمتّعت عليها أنّ تغادر المدرسة غير مطروّدة.»

«وفي إحدى زياراتها لصديقة لها في بلدة أرصون، التقت بشقيق صديقتها، الرفيق يوسف شقير، فاجعب بها لثقافتها من جهة ولروحيتها النائرة من جهة ثانية وفي أثناء محادثته لها تمتعت جمال لو أنّ عدداً من الغفتيان والتفتيات يجتمعون ويتوحدون كتلة واحدة لمحاربة الاستعمار.

«اغتمت يوسف الفرصة التي اتاحتها هذا التمني وأسّز لها بوجود عدد من الشباب يعملون في سبيل ما تمنتى.

«تابع الرفيق يوسف الطالبة جمال واهتم بتعريفها على المبادئ الأساسية والإصلاحية وعلى غاية الحزب، وفي منزل الرفيق جميل شكر الله في بيروت تمّت العراسم وأصبحت جمال عضواً في الحزب وهي أول فتاة في بيروت تؤدّي هذا القسم الرابع في ذلك الوقت.

«هنا تحدث المفاجأة الكبرى إذ يدخل الشاب أنطون سعاده العرقة وقبل أن تثوب جمال إلى رشدها، بإدراها سعاده بالقول: «تعرفنا في وقت اللعب أما الآن فالوقت وقد جدّ».

\*\*\*

تمر الأيام ويكتشف أمر الحزب، فإذا بالرفيقة جمال تستدعي للعمل أمام المحقق النائرة عن ساعات تمّ يخلى سبيلها، إنّما لتسجّل أنّها أول عنصر نسائي في لبنان، بل في العالم العربي تستدعي لاستجواب بتهمة العمل السياسي. «إنه أول حدثٍ مميزٍ يحصل في تاريخ المنطقة الحديث» (كتاب «الجعبة» – الجزء الثاني).

يذكر الدكتور جمال معلوف أنّ توقيفها تمّ بعدما أنّ اتهمت بتبويض مشاكوير حزبية في لبنان وخارجها، وخاصة في فلسطين حيث كانت هناك في مهمة حزبية. ولما عادت وأوقفت وحققت معها السلطات الفرنسية لم تتمكّن من إيدانها وهي كانت قد تساءلت أمام المحققين: هل يفعل أنّ تقوم فتاة في مثل عمرها بنشاطٍ حزبيّ؟ وكان عمرها آنذاك 18 سنة.

تمر الأيام أيضاً، وفي فترة الأسر الثاني الذي تعرّض له سعاده أوائل العام 1937، تولى الأمين أنيس فخوري مسؤولية نائث الزعيم، بواسطة مرسوم أصدره سعاده في سجنه، ونقله محاميّه إبراهيم المنذر، فشكل هيئةً تنفيذيةً من مفعّنين، كان فيها الأمين جبران جريج مفوضاً للمالية، والقاضي قاسم حاطوم مفوضاً للدخالية، الرفيق إميل خوري حرب للدعاية والنشر، كما شكل لجنةً ماليةً مؤلفةً من الرفيقات جمال ناصيف رئيسة، حرية شمعق أرسلان، شقيقتها سميحة، أميرة تيماني، نعم فاخوري، سلوى بدران، وأسساً سلام أعضاء. كان لهذه اللجنة الفضل في جمع مبالغ ماليةٍ جيدة، استعانت بها الهيئة التنفيذية في أعمالها الحزبية، كما في مساعدة الرفقاء الأسرى.

وفي العام 1937 تمّ تأسيس أول مديرية للرفيقات تولّت مسؤولية المديرية فيها الرفيقتان جمال ناصيف، وكان من أعضاء المديرية الرفيقات أنجيل عبد المسيح، سلوى البستاني، نعم فاخوري، سلوى بدران، عفيفة حداد، سميحة شمعق (الجزء الثالث من مجلد «من الجعبة»).

في أواخر العام 1937 منح سعاده رتبة الإمامة إلى الرفيقة جمال ناصيف، وإلى الرفيق مصطفي المقدم (مقدّم إدم طرابلس) من باب الرفيق الدكتور محمد أمين لتحقوق. حتّى إذا أطل أول آذار من العام 1938 أقيمت احتفالات في كل المناطق، وتسلق الرفقاء قمم الجبال العالية لإشعال النيران كما أطلقوا الأسمه الثائرة عى المدن وأثاروا أسلح المنازل. من أبرز الاحتفالات الكبيرة والحفلات الخاصة المخصّصة التي أقيمت، تلك التي أقامها فرع السيدات برئاسة الأميّنة جمال ناصيف «حيث تجلّت الروح القومية الاجتماعية من الجنسين، لقد كانت حفلة عيد ميلادٍ عصريةٍ تضمنت كل ما يجب أن تتضمنه، إن من حيث النهجة والحبور أو من حيث الماكولات المتنوعة (الجزء الرابع من مجلد «من الجعبة»).

في الصفحة 373 من كتابه «من الجعبة – الجزء الثالث» يقول الأمين جبران جريج: «وبدأت المساعي – عام 1937 – بمعظمه الماالم لإنشاء جريدة «النهضة» كان أول مبلغ يتوجب تأمينه خمسمئة ليرة لبنانية بدل الامتياز. تقرر أن يكون الامتياز باسم أحمد دمشقية المطابطة أوصافه الشروط المطلوبة حسب قانون المطبوعات. أصبح أحمد دمشقية عضواً سرّياً في الحزب.

ثمّ صفيق: «أمّن سعاده المالية، مأمون أياس، بيوامت محطمة ليرة من الرفيقة جمال ناصيف، سمعت الزعيم يقول وقد عرف بحضور المبلغ بعدما انتهت المعاملة: «ما كان ليجوز أن يؤخّذ المبلغ من جمال فقد تحتاج إليه، قبل استطاعة العبيد مأمون رده إليها. كأنه كان يبتئها بما وقع فعلاً».

واستمرت الأميّنة جمال ناصيف في نضالها الحزبي، وحضورها المميز. عام 1943 شاركت في قيادة التظاهرة السنائية التي اندلعت في بيروت تصدياً للقوات الفرنسية ودعماً لحكومة الاستقلال في بشارمون، ولأركان الدولة المعتقلين في راشيا. كانت الأميّنة جمال إلى جانب السيدة كلودا نابت وعدد



كبير من الرفيقات اللواتي شاركن في تلك التظاهرة.
\*\*\*

الأمين عبدالله قبرصي بدوره يشير بتقدير إلى الدور الجيد الذي قامت به الأميّنة جمال ناصيف والدتها إذ يقول في الصفحة 180 من الجزء الأول من «عبدالله قبرصي تذكر» ما يلي: «جمال ناصيف ووالدتها كانتا – خاصة جمال – من المشتركات في تأسيس الفرع النسائي في الحزب والعلامات على إيمانئه وانتشاره، ولا أستبعد أنّ يكون سعاده قد عنائها عندما قال: «قد تدرك المرأة بقلبيها ما لا يدركه الرجل بعقله».

\*\*\*

اقتربت الأميّنة جمال من الرفيق «الشيخ» حافظ المنذر، من المحيّدنة – بكفيا، ابن النائب والمحامي والشاعر والأديب والخطيب والمقاوم للسلطات الفرنسية، «الشيخ» إبراهيم المنذر الذي كان له دور فاعل إبان سجن سعاده، ليس على صعيد قيامه بدوره كحمّام فحسب، إنّما بالنسبة إلى تأمين نقل البراسيم والتوجيهات الحزبية إلى خارج السجن، كما أشرنا آنفاً، وكان بقي صديقاً للحركة، وللزعيم، حتى آخر حياتته.

الرفيق حافظ كان له جهاده أيضاً. انتمى إلى الحزب عام 1934 وكانت له اليد الطولى في تأسيس العمل الحزبي في طرابلس عندما كان طالباً في معهد الليك، إذ استطاع أنّ يجتدّب بعض زملاء الدراسة وعلى أثر ذلك توجه وفد من بيروت قومه مأمون أياس وفؤاد مفرج لالتقي في طرابلس الطلاب الذين كان بدأ معهم الرفيق حافظ وعملّا على تحقيق انتمائهم إلى الحزب ذكر منهم رياض عبد الرزاق، بدر مرقي، تقولا عرونق، وبدوي بوز.

في كتابه «تذكريات» الصادر عام 1983 يقول الرفيق حافظ: «في الحزب شغلّنتي إحدى الفتيات، شغلّنتني ريفة، وشغلّنتني صديقة، وشغلّنتني حبيبة، وشغلّنتني زوجة، جمال ناصيف، اسم لمع كثيراً في حركتنا السنائية الثورية. فالذين رافقوا تلك الحركة هم نشوقها الأول ثم في إنداعها وانتشارها لا يمكن أن ينسوا فتاة شجراء جميلة تتحلى بالجد والنشاط، رأست سيدات الحزب وقادتهن في العمل النضالي الكامل، لافارق بينهن وبين الرجال. «الرفيقة جمال قدوة بين أعضاء الحزب، رجلاً ونساءً على السواء. قدوة برصانتها، بانائتها، بإدراكها العميق للعقيدة وأصول العمل الحزبي».

وإن كان الرفيق حافظ عرف في شبابه عملاً حزبياً ناشطاً، إلا أن سعاده أصدر قراراً بطرده بعد انتخابات العام 1947 بسبب خروجه على القرار الحزبي واستمراره في خوض الانتخابات النيابية. مع ذلك بقي الرفيق حافظ وقيّاً لحزبه ولما أمّن به، فلم يصر عن أيّ تصرفٍ سيء، بل هو بقي يتكلم عن الحزب، ويتناقش في أمورٍ مع رفقاؤه حياً وخطّياً من حياته.

وهذا ما توضحه الأميّنة سهام بشير جمال<sup>(2)</sup> في كلمتها عنه، يعد وفاته، تقول: «أحلّ من طفولتي نكري لك حلو، نديةً لكمان عينك الضوكة. كنت لنا العثال والقدوة مع رفيقة عمرك جمال ناصيف وكنت أنا الصغرية أعشق الاستسامتك الدائمة ودواعك والحنان الدافق من عينك والكلمة الحلوة الخاضرة يصدق على لسانك لكل من يلتقيه، والأهم وأبعث تواضعك، هذا التواضع العارف المفقود. «كبرت أنا ورايمنت المسافات وانتميت إلى مدرستك أنت وجمال، وكنا كلما التقينا في المحيّدنة تسألني عن القريبين مني وأسألك عن القريبين منك وتستعيد التذكريات الحلوة وحلم بالغد كما نشتهي. حسبك البعض محتلياً عن إيمانك ومبادئك، أعزّهم لأنهم لم يعرفوك وما أدراك أنت كنت شيخ المؤمنين على الدواع، تمارسها باثق تواصلبها على كل مرافق الحياة الخاصة العامة. كنت الابن البار لايك الشيخ إبراهيم المنذر المدرّس والأديب الشاعر والفنان على القلم والإستيعاب، والنائب المدافع عن القضايا الوطنية، كنت الأقرب إليه قلباً وبقالبا، من مدرسته ترتعت إلى مدرسة سعاده. دخلتها خبويّاً، عالمي الثقافة والشأن لأنك أدركت أنّها السبيل الوحيد لبلوغ الأمانة إلى مكناها اللابح تحت الشمس. «كنت لجمال مثال الزوج العاشق المحب وكنتم لها الرفيق والأخ والصديق. يا للوعتها على غيابك، ومن لم يلتغ على رحيلك يا أصفى الرفقاء واشدهم إيماناً وأصيدهم ممارسة. كنت خارج الأعمال وتواريخ الولادة وأبدأ وشباب دائم في القلب وطفل مع الأطفال، وشيخ مع الشيوخ، وشباب دائم في القلب وعمل في الخلق. قرأت آخر أشعارك مهداةً لي نعمي<sup>(3)</sup> في ألبول الماضي وشعرك كما نثرَك كما المواويل والقراءة التي تنظم صافية عميقة سلسلة كصفاء ووحك وعمق تحريك وسلاسة طباعك. «حزبية المحيّدنة على فراقك، وحزناً نحن آن الكثيرين من الرفقاء والأمناء لم يعرفوك».

##### بطاقة هوية ومعلومات

الإسم الكامل: جمال جرجي ناصيف.
الأم: كاترين معلوف.
مواليد المصيطبة، بيروت، عام 1919.
توفي والدها وهي طفلة في الثانية من عمرها، فرعته والدتها بالعطف والحنان التربية المثلى.

دراستها الأولى في مدرسة داخلية تعود لراهبات القديس فانسان دو بول، في بيروت، وانتقلت إلى مدرسة الإنكليز للبنات ثم إلى مدرسة سانت يوسف – الصبور.

كانت زميلاتها يطلقن عليها لقب «زعيمة الشباب» ذلك أنّها كانت تصدّي باستمرار للمعلّمات الفرنسيات اللواتي يتعمدن إهاتة لبنان وشعبه.

اقتربت من الرفيق حافظ المنذر عام 1945، إلا أنّهما لم يزرّقا أولاداً. في 1/6/ 1990 وافت المنية الرفيق حافظ، فأقيم له ماتم مهيب وحافل في كنيسة بلدته، سيدة المحيّدنة، بكفيا، واقتربت من الأمين

## ثقافة

## الرفيقة الأولى في بيروت

\***لييب ناصيف\***

الذين رثوه وكتبوا عنه، كثيرون. منهم الأمين شوقي خيرالله، المتاهل من الرفيقة هدى ابنة شقيقة الرفيق حافظ، سلوى إندراوس، الدكتور ميشال جحا، الوزير إدمون رزق، الأمين عبدالله قبرصي، والاميّنة جمال في سنواتها الأخيرة بعد رحيل رفيقها عرفت الأميّنة جمال في سنواتها الأخيرة بعد رحيل رفيقها وحبيبها وزوجها العطف والحنان والاهتمام لدى أبناء خالتها إيليا معلوف: جورج، د. جمال وسمير، إلى أنّ وافتها المنية في 14/ 8/ 1997، فأقيم لها الجناز في كنيسة سيدة المحيّدنة

ودُفنت في مدافن آل المنذر إلى جانب زوجها. يروي الدكتور جمال معلوف وكان شديد التعلق بها وعلى اتصال دائم بها ومقرباً منها، الآتي:

«كانت الأميّنة جمال ناصيف تجيد لعبة التنس، وكرة السلة، كذلك كانت تجيد اللغتين الإنكليزية والفرنسية، بالإضافة إلى العربية، وكانت تملك ثقافةً متنوّعة وشاملة على صعيد العلوم كافة، كالنّاريخ والجغرافية والاجتماع واللغة وغيرها، ما جعل منها شخصيةً متكاملة وفاعلة في المجتمع.

كانت أيضاً سيدة جميلةً خلّقا وبهيبةً خلّقا، لها شعر أشقر وعينان زرقاوان وجبهة عريضة تخفي نكاهً حاداً وشخصيةً قوية. جريئة في موقفها لا تلتلن أمام الصعاب، عنيدة ومناضلة للحق، لا تخضع وهي دوماً تمتلك أعصابها وتشد على جراحها. تكره الكذب والنفاق والسياسة الملتوية وتدعو إلى الإخلاص والمحبة والنضال في سبيل الحق والحرة.

وكانت على درجة كبيرة من الثقافة والإطلاع، تقرّ كثيراً وتحلل وتحفظ القيم ولا تلتالي بالسخيف من الأفكار... إلى ذلك كانت الأميّنة جمال فتاةً وكاتبة، ترسم وتصور أثناء أوقات الفراغ أو الراحة، ولها كتابات عديدة جيدة ورسوم رائعة لم تنشر مع الأسف..

نشرت مجلة «المان والعالم» في العام 2001 ملفاً خاصاً بعنوان «رائدات لبنانيّات» خصصت فيه نصف صفحة عن الأميّنة جمال ناصيف تحت عنوان: «جمال ناصيف المنذر... أول امرأة تنتمي إلى حزب سياسي».

ويضيف:

– كانت الأميّنة جمال وحيدة لأهلها، فلم يكن لها أخت ولا أخ. لذا كان خالتها السيد إيليا معلوف يشكّل لها الأخ والصديق والرفيق، كان وسيم الطلعة، يجاري العداثة ولم يكن يتخلّف عن كل سلوك اجتماعي جيد، في الملابس والمأكّل والمجلس والسورات والاحتفالات والرفض.

وكان (إيليا وجمال) لا يفترقان ولا ينفصلان. متلازمان أينما حلا أو ارتحلا. فكان إلى جانبها في البيت، كما خارجه. كان يشاركتها المهام والاجتماعات الحزبية لعامة (بل يكن رفيقاً) ويرافقها في السير والدعوات، وفي هي التقيض التام لكم، والبريدج والرحلات، وقد كسبا معا جولات في الرياضة، وفي الرض ونالا جوانب تقدير.

كانت تملك سيرةً من نوع «روز روبن» مكشوفة، تنتقل بها وتستعملها في خدمة نشاطاتها الحزبية والعامة المتعددة.

\*\*\*

عرف الأمين شوقي خير الله الرفيقة الأميّنة جمال ناصيف جيداً، كون الرفيق حافظ إبراهيم المنذر هو خال زوجته الرفيقة هدى فؤاد أندراوس، في مذكراته يورد في أكثر من مكان عن الأميّنة جمال، في إحداهما (ص 247) يقول:

...لما عادت جمال من التوقيف إلى المدرسة بحماسة متزايذة عن قبل وبقناعة رسوليّة ركبت لم تحاول المديرة صدها أو منعها أو معاقبتها ولكنها حادلتها بما يلي: قالت: «يا جمال، أنا لا أتدخل في فتااتك القومية ولا في إيمانك وانتسابك، بل أنا معجبة بما سمعت وقرأت عن الحزب ومبادئه ونصره وتصرفكم في الإستحقاق والتحقيق، وما بعد الخروج من السجن. وأنا أيضاً منتمنة إلى حزب أو منحى فكري وسياسي في بلادي، ولكنني أتنبك إلى أنّ خطط أوروبا وأميركا واليهود هي غير ما أنتم تقولون وتؤمنون به وتعلّون به، بل هي التقيض التام لكم، فكارا وعمالا خطنهم الطويلة المدى هي أنّ ينشئوا دويلات أصغر من لبنان وسورية والعراق والأردن وفلسطين. إنهم يبوّون أنّ يجمعوا كل دين ومنذهب وطلّافة في رقعة خاصة، وأن يفرقوا بين الدويلات قدر ما يستطيعون كما كانت ألمانيا وإيطاليا قبل الوحدة التي كليهما. فإنه لا يمكن لـ«إسرائيل» التي بدأوا يستقدمون إليها اليهود، أن تعيش وتبقى مع النصار عقيديتكم وأي عقيدة عربية توحيدية غيركم، زعيمكم بريد أن يبلغ بكم العالم، وأنا أفهمه أكثر منك، لقد اخترت يا جمال اصقذ عقيدة وأصح عقيدة ولكنها الأصعب تحقيقاً بسبب تخلف شعبكم ومقاومة اليهود وأوروبا لكم.

روت الرفيقة جمال ناصيف هذا الحديث للزعيم فاستمع ملياً ثم أجابها: يا رفيقة جمال، مديرتك قالت صواباً، وليس من حرف خطأ في ما قالت. والزعيم، لأنه يعرف ذلك جميعاً ومقتنع به، فقد أنشأ الحزب بعهذ العقيدة وبهذا النظام. نحن ردّ على التحدي الاستعماري اليهودي الذي يتهندنا في أرضنا ووجدنا وحضارتنا، الحزب على معرفة تامّة بما قالت مديرتك وهو ردّ عملي عليه. إنه استغفال للقوى الذاتية في الأمة السورية، اللقوة التي قبتنا جميعاً في كل مواطن، لكي يعي الخطر ويؤمن بالخلص عبر مبادئ نهضتنا فينتسب إلى الحزب ويعمل في حق النهضة. هم يريدون شيئاً ونحن نريد شيئاً آخر. وروماننا حول النصر».

\*\*\*

«من رسالة الزعيم إلى الرفيق جورج بندقي في 1939/08/15

وردني من بيروت انه قد ارسلت الي ادارة «سورية الجديدة» لائحة باسماء قوميين لرسال الجريدة اليهم إلى الوطن، ولما كان إرسال «سورية الجديدة» الي الأشخاص المذكورين في اللائحة ضروريا للحركة القومية اطلب الاسراع في إرسالها واعتبار الرفقاء الأميّنة جمال ناصيف وزكي صواف ورسيد فرعون مهدي اليهم، لأن هؤلاء الأعضاء كانوا مساهمين في جريدة «النهضة»، ومن الذين لهمعلم أهمية».

■ **رئيس لجنة تاريخ أrahيات**

##### هوماش

- إسم النادي «بيروت تنس كلوب» بحسب إفاذة ابن خالها، الدكتور جمال معلوف.
- الأميّة سهام بشير، من المحيّدنة، بكفيا، واقتربت من الأمين أنيس جمال.
- ابنة الأمين شوقي خير الله وعقيلته الرفيقة هدى أندراوس.



إحدى لوحاتها